الصورة الشعرية في شعر كعب بن مالك الأنصاري

يتناول البحث الشاعر كعب بن مالك الأنصاري (ت ٥٠ هـ) ؛ ونظراً إلى أن أكثر الكتب التي تحدَّثت عن كعب بن مالك الأنصاري اقتصرت على حياته وجهاده في سبيل الله ، فضلاً عن التعريف بأغراضه الشعرية بصورة موجزة ، وهو الأمر الذي دفعنا إلى الخوض في دراسة فنه الشعري ، فكان بحثنا (**الصورة الشعرية في شعر كعب بن مالك الأنصاري**).

إن معرفة شاعرية الشاعر لا يكون في الوقوف على أغراضه الشعرية حسب قدر ما يكون في معرفة نتاجه الشعري وتشكيل صوره الشعرية .

وقد أردنا لهذه الدراسة أن تبتعد عن تفاصيل حياة الشاعر ؛ لأنها دُرِست دراسةً مفصلة في مقدمة الديوان للمحقق الدكتور سامي مكي العاني ، أما أغراضه الشعرية فقد نأينا عنها لسببين **أولهما** : متعلق بما ذكرناه آنفاً ، إذ ذكر المحقق أغراضه في مقدمة الديوان يُزاد على ذلك أن كل مَنْ يتناول شعراء صدر الإسلام يذكر الأغراض الشعرية الخاصة بتلك المرحلة .**وثانيهما** : أننا قد تناولنا هذه الأغراض على امتداد البحث فرأينا من الضروري تجنب تكرار هذه الأغراض ، فأصبح من الأوْلَى عدم إفراد دراسة خاصة بهذا الشأن .

وطالما زعم النُّقَّاد أن العصر الإسلامي ضعيف الخيال ، لذا جاء البحث هذا في إثبات الصورة الشعرية التي لا تقتصر على أساليب المجاز في بنائها ، بل قد تتعدى حدود التشبيه والاستعارة والكناية بوصفها وسائل تصويرية بيانية من جهة ، أو تتعدى جمال العاطفة والخيال بوصفها عناصر تصويرية من جهة أخرى ، فتضم إلى جانب هذا وذاك ما هو واقي بعيد عن فنون البيان والخيال ، أي أنها تقوم على أساس متكافئ ما بين الحقيقة والمجاز .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُوَزَّعَ على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

ففي التمهيد : تناولنا مفهوم الصورة الشعرية في النقد القديم مساراً أولاً ، ومفهوم الصورة الشعرية في النقد الحديث مساراً ثانياً .

أما **الفصل الأول** : فقد تناولنا فيه منابع الصورة الشعرية ، وقد قسمته على ثلاثة مباحث هي(البيئة الطبيعية)و (الثقافة الإسلامية) ثم (الثقافة الشعرية الموروثة).

أما **الفصل الثاني**: فعرضنا فيه لأنماط الصورة الشعرية ، وقد جاء في ثلاثة مباحث هي : (الصورة المفردة) و(الصورة المركبة) ثم (الصورة الكلية) .

أما **الفصل الثالث** : فقد أبرزنا فيه وسائل الصورة الشعرية ، وقد توزَّع على ثلاثة مباحث هي : (الوصف والسرد والتقرير) و(فنون البيان) ثم (الموسيقى الشعرية) . أما **الخاتمة** فقد انطوت على ما أثمر البحث من نتائج ....

وقد اعتمدتُ في بحثي هذا المنهج الفني القائم على فحص النصوص لاستجلاء تشكيلها الصوري من جميع جوانبه مع المنهج الوصفي التأريخي في الاعتماد على النتائج التي يؤول إليها التحليل النصي للمادة الشعرية .هذا وقد استعنتُ في دراستي بمصادر متنوعة ، منها ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، زد على ذلك الكتب القديمة والكتب الحديثة ، فضلاً عن الكتب التي أمدت البحث بمعلومات قيمة مثل الدراسات الأدبية والإسلامية والكتب الأجنبية المترجمة والكتب البلاغية والعَرُوضية ودواوين الشعراء ....

أما أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة :

١ . استعملَ النقَّاد العرب القدماء الصورة الشعرية ، غير أن ذلك الاستعمال لم يكن مماثلاً لنظرة النقد العربي الحديث .

٢ . لم تصل الدراسات النقدية الحديثة لمفهوم الصورة الشعرية في النقد الحديث إلى تعريف نهائي محدَّد .

٣ . كانت البيئة الطبيعة من منابع الشاعر التصويرية التي منحته المواد الأساسية لبناء نصه الشعري .

٤ . أن الشاعر أحد الشعراء الذين أثَّر القرآن الكريم في شعرهم ، إذ نهل من القرآن الكريم الكثير من معانيه التي أغنت صوره الشعرية .

٥ . سار الشاعر في شعره متأثراً بشعراء العصر الجاهلي على الرغم من إسلامه .

٦ . الصورة المفردة تتسم عند الشاعر ببساطتها واستقلاليتها ، لكنها ترتبط بعلاقة مع صوره المركبة والكلية في نصه الشعري .

٧ . الصورة المركبة لدى الشاعر تتسم بترابط الصورة المفردة البسيطة مع بعضها ؛ لأجل تكوين فكرة محددة تتظافر فيما بينها من أجل تعزيز المعنى وتقويته .

٨ . الصورة الكلية تجسدت في ذلك التآزر والترابط في الأغراض الشعرية فيما بينها بالخيط الشعوري النفسي الذي يربط النص الشعري برمته

٩ . لم يقم بناء نصه الشعري على غرض واحد فقط ، وإنما تعددت الأغراض داخل نصه الشعري إلى أكثر من غرض متداخل مع بعضه .

١٠ . طغت صوره الحسية ولا سيما البصرية منها في تصوير الأحداث الإسلامية مع قلة صوره السمعية وندرة أنماط صوره الحسية الأخرى مثل الذوقية والشمية واللمسية .

١١ . يلجأ الشاعر إلى الذهن لتصوير ما يروم التعبير عنه بإدراكه العقلي والمنطقي في صوره الذهنية عندما يعجز الشاعر عن إبراز الحدث بصوره الحسية .

١٢ . وجدنا أكثر صور الشاعر تقوم على الوصف والأسلوب القصصي في الكشف عن تجربته ، لذا فالسرد لديه يعبر عن أفكاره وانفعالاته ، أضف إلى إنه لم يكن قصصاً خالصاً قريباً إلى النثر ، وإنما كان يجمع بين الشعر والقصة ، فضلاً عن إن أسلوب الشاعر لم يكن يحتوي على قصة فيه بداية وعقدة ونهاية ، وإنما يقصد الشاعر أن ينقل المشاهد والأحداث بأسلوب وصفي سردي قصصي مصوراً الأحداث من خلال الشعر .

١٣ . جسد الشاعر الصورة التخييلية في ضوء أسلوبه غير المباشر الذي يقوم على التشبيه والاستعارة والكناية على الرغم من تفاوتها لديه في تحقيق الصورة الشعرية .

١٤ . يرى الباحث أن كثرة الوصف عند الشاعر بصورة خاصة وشعراء صدر الإسلام بصورة عامة هو الذي دفع النقّاد إلى الزعم بضعف الخيال عند الشاعر .

١٥ . شاعت لدى الشاعر ظاهرة التداخل ما بين الوصف والسرد والتقرير .

١٦ . لا يختلف الشاعر في الوزن عن سائر الشعراء من حيث استعمال البحور التقليدية التي أكثر في نظمها القدماء مثل الطويل والكامل والوافر . أما التقفية فقد حفل ديوانه بالكثير من مظاهرها وأشكالها كالتصريع والروي الساكن والمقيد .

١٧ . لقد وعى الشاعر دور الموسيقى الشعرية ، فنوع الروي بالإكثار من حروف معينة ذات جرس صوتي لما لها من أثر في السمع ، فقد برزت الموسيقى الداخلية في شعره وظهرت براعته في تنويعها بما يتناسب مع حالته النفسية في خلق موسيقى داخلية تقوم على التكرار والتدوير والتصريع والطباق ورد العجز على الصدر والجناس .

الباحث

علي صاحب عيسى